

الْجَيْعَاءُ عَلَوْهُ الْدِينُ

تأليف

الإمام المجدد، مجّة الإسلام والمسالمين

نَسَرُ الدِّينِ، أَبُو حَمَدٍ

مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَحْمَدَ الغَزَّالِيِّ

الطُّوسِيُّ الطَّابَرَانِيُّ الشَّافِعِيُّ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٤٥٠ - ١١١١ هـ) - (٤٥٠ - ١٠٥٨ م)

مُفْرِعاً

الإِمْلَادُ عَلَى مُشْكِلِ الْإِحْيَا وَتَعْرِيفُ الْأَحْيَا وَبِقَصَائِلِ الْإِحْيَا

تَسْرِفُ بِخَدْمَتِهِ وَالصَّنَايَا بِهِ

خَقِيقَاتِهِ وَضَبَطَهُ وَتَوْسِيقَهُ وَمَرَاجِعَهُ

اللجنة العلمية ببركت دار المنهج لدراسات وتحقيق العلمي

المقدمة

دار المنهج

الطبعة الأولى
١٤٣٢ - ١١٠٢ م
جميع الحقوق محفوظة للناشر

عدد الأجزاء : (١٠)

عدد المجلدات : (١٠)

نوع الورق : شاموا فاخر

نوع التحلييد : مجلد فني

عدد الصفحات : (٦٧٠٤ صحفة)

عدد ألوان الطباعة : لبنان

اسم الكتاب : إحياء علوم الدين

المؤلف : الإمام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ)

الإعداد : مركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي

موضوع الكتاب : مبادئ وقواعد الدين الإسلامي

مقاس الكتاب : (٢٤ سم)

تصنيف دبوبي الموضوعي : (٢١١)

التصميم والإخراج : مركز المنهاج للصف والإخراج الفني

الطبع : مطبعة دار لبنان - بيروت

التحلييد : مؤسسة فؤاد البعيني للتحلييد - بيروت

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكلٍ من الأشكال ، أو نسخه ، أو
حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه ،
وكذلك لا يسمح بترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطوي مسبقاً من الناشر .



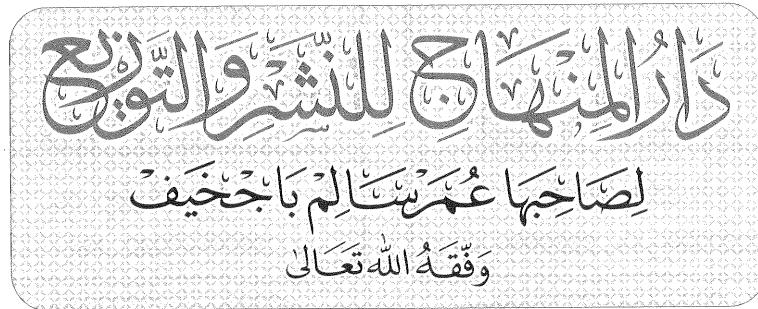
الرقم المعياري الدولي

ISBN: 978 - 9953 - 541 - 50 - 1



دار المنهج

لبنان - بيروت - فاكس : 786230



المملكة العربية السعودية - جدة
حي الكندرة - شارع أبها تقاطع شارع ابن زيدون
هاتف رئيسي 6326666 - الإدارة 6300655
المكتبة 6322471 - فاكس 6320392
ص. ب 22943 - جدة 21416

عضو في الاتحاد العام للناشرين العرب
عضو في إدارة جمعية الناشرين السعوديين
عضو في نقابة الناشرين في لبنان

www.alminhaj.com

E-mail: info@alminhaj.com

المملكة الأردنية الهاشمية

دولة قطر

دار محمد دنديس - عمان

هاتف 4653380 - فاكس 44653390

مكتبة الثقافة - الدوحة

هاتف 44421132 - فاكس 44421131

الجمهورية التونسية

الدار المتوسطية للنشر - تونس

هاتف 70698880 - فاكس 70698633

مكتبة منهاج القويim - دمشق

هاتف 2235402 - فاكس 2242340

جمهورية الصومال

مكتبة دار الزاهر - مقديشو

هاتف 002525911310

جمهورية الجزائر

دار البصائر - الجزائر

هاتف 773625 - فاكس 773627

الجمهورية التركية

مكتبة الإرشاد - إسطنبول

هاتف 02126381700 - فاكس 02126381633

جمهورية فرنسا

مكتبة سنا - باريس

هاتف 48052997 - فاكس 48052928

جمهورية الهند

دار الكتاب العربي
Kottakkal. Malappuram
Mobile 9846161784

جمهورية أندونيسيا

دار العلوم الإسلامية - سوروبايا
هاتف 0062313522971
جوال 00623160600020

إنكلترا

دار مكة العالمية - برمنجهام

هاتف 00441217739309 - جوال 00441217737395

جميع منشوراتنا متوافرة على



سُبْحَانَ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَمَنْ هُوَقَنْتُ إِنَّهُ أَيْلَ سَاجِدًا وَقَبْلَمَا يَخْدُرُ الْآخِرَةَ وَرَبُّ حُوَّارَمَةَ رَبِّ
قَدْرَهَا لَيَسْتُوا لَذِكْرُهُ لَعْنُكَ مَعْلُومٌ
إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَيْمَنِ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةَ الْمُرْسَلِينَ

إِلَيْكَ تُرِيدُ صَحِيحَ النَّوْبَةَ، وَلِلَّهِ خَلْطٌ فِي سِلْكِ الْمُصَالِحِينَ .

إِلَيْكَ تُرِيدُ الْمُصَافَّ بِالْجَاهِيَّةِ وَلِلَّهِ نَبَّةٌ إِلَيْكَ وَلِلَّهِ الْمُنْوَهُ .

إِلَيْكَ تُرِيدُ الرُّثْقَى إِلَيْكَ سَبَبُ السَّعَى، وَلِلَّهِ غُرْفَةٌ مِنْ مَعْنَى السَّلْفِ الْمُصَلَّى .

إِلَيْكَ تُرِيدُ الْغَيْرَ وَلِلَّهِ شَدَّعٌ^(١)، وَالثَّابِرُ فِي نَفْسِهِ وَفِي بَيْتِهِ وَفِي حِيطَتِهِ .

إِلَيْكَ كُلُّ جَهْنَمْ تُضَمِّنُهُ لَتَذَرُ فِي الْفَرَقِ الْمُلْهُورِ وَالْمُسْرِيِّ .

خُذْهُ لَأَعْمَمْ بِهِ :

أَعْجَمَ عِلْمَ الْكِتَابِ

الكتاب الجامع لعلوم الدين وأعلام آخرة

من كلام الله سبحانه وتعالى، وسنة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه
وأقوال العلماء العاملين الداعية إلى سبيل الحق

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَأَنْتَ تُبَشِّرُنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾

الناشر

جلدة في ٢ جمادى الآخرة ١٤٣٢ هـ

٥ أيار - مايو ٢٠١١ م

(١) اقتباساً من قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ بِهِ إِنَّمَا يُغَيِّرُ مَا يَأْتِي فِي أَنفُسِهِمْ» .

قالوا في الإمام الغزالى

• أبو حامد الغزالى رضي الله عنـه مجدد أـمر الدين في المـائة الخامـسة .

الإمام العـاظـفـ ابن عـاصـكـر

• صـفـ الـكتـبـ الـحسـانـ فـيـ الـأـصـوـلـ وـالـفـرـوـعـ ،ـ الـتـيـ اـنـفـرـ وـجـسـنـ وـضـعـسـ .ـ وـتـرـتـبـهـاـ وـتـحـقـيقـ الـكـلـامـ فـيـهـ .ـ

الإمام ابن الجوزي

• من نظرني كـثـبـ الـإـمـامـ الغـزـالـىـ رـحـمـهـ اللهـ ،ـ وـكـثـرـةـ مـصـنـعـاتـهـ ،ـ وـتـحـقـيقـ مـقـالـاتـهـ ..ـ عـرـفـ مـقـدـارـهـ ،ـ وـسـتـخـنـ آـثـارـهـ ،ـ وـسـتـصـغـرـ عـظـمـهـ مـنـ سـوـاهـ ،ـ عـظـمـ قـدـرـهـ فـيـهـ .ـ أـمـدـهـ اللهـ تـعـالـىـ بـهـ مـنـ قـوـلـهـ ،ـ وـلـامـبـالـافـ بـجـاسـدـ قـدـ تـعـاطـىـ ذـمـةـ ،ـ أـوـ مـعـانـىـ .ـ أـبـعـدـ اللهـ تـعـالـىـ عـنـ إـدـرـاكـ مـعـانـىـ كـلـامـهـ فـهـ .ـ

الإمام القسطلاني

• لا يـصـلـ إـلـىـ مـعـرـفـةـ عـلـمـ الغـزـالـىـ وـفـضـلـهـ إـلـاـمـنـ بـلـغـ .ـ أـوـ كـادـ بـلـغـ .ـ الـكـمالـ .ـ فـيـ عـقـلـهـ .ـ

الإمام السـبـكي

الغزالٰ هو اثـ فـي المـ ثـانـي .

محمد بن يحيى تلميذ الإمام الغزالى

مـ حـ مـ دـ بـ عـ بـ اـ شـ دـ صـ نـ عـ لـ يـ سـ لـ مـ سـ يـ دـ الـ أـ نـ بـ يـ اـ ، وـ مـ حـ مـ دـ بـ اـ دـ رـ يـ سـ رـ ضـ يـ عـ نـهـ
سـ يـ دـ الـ أـ نـ مـ نـهـ ، وـ مـ حـ مـ دـ بـ مـ حـ مـ دـ بـ مـ حـ مـ دـ الغـ زـ الـ يـ حـ اـ شـ سـ يـ دـ
المـ صـ فـ يـنـ .

الإمام اسماعيل بن محمد الحضرمي

هو سـ يـ دـ المـ صـ فـ يـنـ عـ نـدـ المـ نـصـ فـيـنـ ، وـ حـ جـ حـ الـ إـ سـ لـ اـ مـ عـ نـدـ أـ هـ لـ الـ اـ سـ تـ لـ اـ مـ
لـ قـ بـوـلـ اـ حـ قـ تـ قـيـنـ فـيـ جـمـ جـعـ الـ اـ قـطـارـ وـ اـ بـجـهـاتـ .

الإمام اليافعي

أـ بـوـ حـامـدـ ، إـ اـمـ اـمـ الفـقـهـاـ عـلـىـ الـ اـطـلاقـ ، وـ رـبـانـيـ الـ أـمـةـ بـالـ اـتـفـاقـ ، وـ مـجـرـدـ زـمانـهـ ،
وـعـيـنـ أـوـانـهـ ، كـانـ شـدـيدـ الـذـكـارـ ، قـويـ الـإـدـرـاكـ ، ذـافـطـنـةـ ثـاقـبـةـ ،
وـغـوـصـ عـلـىـ الـمعـانـيـ .

الإمام النـهـيـيـ

أـ بـوـ حـامـدـ الغـ زـ الـ يـ ، حـ جـ حـ الـ إـ سـ لـ ا~م~ ، وـ مـحـبـتـهـ الدـيـنـ اـتـيـ تـيـوـصـلـ بـهـاـ إـلـىـ دـارـ
الـ إـسـلـامـ ، جـامـعـ اـشـتـاتـ الـعـلـومـ ، وـ مـبـرـزـ فـيـ الـمـنـقـولـ مـنـهـاـ وـ الـمـفـرـومـ .

الإمام السـبـيـيـ

• اشتُجَّ الْإِمَامُ الْبَحْرُ، حَجَّةُ الْإِسْلَامُ، أَعْجَوْبَةُ الزَّمَانِ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ
وَالذِّكَا، مُفْرَطٌ.

الإمام اليافعي

• كَانَ فَقِيهُ فَرَانَهُ وَإِمَامًا أَهْلَ زَمَانَهُ، وَفَارِسٌ مِيدَانَهُ، كَلِمَتَهُ شَهِدَ بِهَا الْمُوَافِقُ
وَالْمُخَالِفُ، وَأَفْرَجَ حَقِيقَتَهَا الْمَعَادِيُّ وَالْمَحَالِفُ.

الإمام السبكي

• أَبُو حَامِدِ الْغَزَّالِيُّ، حَجَّةُ الْإِسْلَامِ وَلِمَسَامِينِ، إِمَامُ أُمَّةٍ
الَّذِينَ، لَمْ تَرْلَعِسْ يُونَ مِثْلَهُ لِسَانًا وَبَيَانًا وَنُطْقًا، وَخَاطِرًا
وَذَكَارًا وَطَبِيعًا.

الإمام الحافظ عبد الغافر الفارسي

• تَرَكَ الدُّنْيَا وَرَاءَ ظَهَرَهُ، وَأَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ يُعَالِمُهُ فِي سَرَرِهِ وَجَهَرَهُ.

الإمام السبكي

• الغَزَّالِيُّ إِمَامٌ بِاسْمِهِ تَشْرِحُ الصَّدُورِ، وَتَحْيَا النُّفُوسُ، وَبِرِسْمِهِ تَفْخَرُ الْمُحَابِرُ،
وَتَهْزَزُ لَطْرُوسُ، وَبِسَاعَتِهِ تَخْشَعُ الْأَصْوَاتُ وَتَخْضُعُ الرُّؤُوسُ.

الإمام ابن العماد

الفراي بحر مفرد

إمام الحرمين الجويني

كان رضي الله عنه ضرغاماً، إلا أن الأسود تضليل بين يديه وتواري،
وبدراً تماماً، إلا أن هداه يشرق نهاراً، وبشرًا من أخلق، ولكن الطود
العظيم، وبعض الخلق، لكن مثلما بعض الحجر الدڑاظيم.

الإمام السبكي

أبو حامد الإمام الفقيه، والمتكلم النّظار، المصنف الصوفي.

الإمام النووي

حجّة الإسلام زين الدين الطوسي، الفقيه، لم يكن للطائفة الشافعية في آخر
عصره مثله.

مضى وأعظم مفقود فجعت به من لأنطير له في الناس خليف

الإمام ابن خلkan

أحد أئمة الشافعية في التصنيف والثريّب، والقرآن والتعمير، والتحقيق
والتحرر.

الإمام ابن كثير

شاع ذكره في البلاد ، وشتهر فضله بين العباد ، وأنفقت الطوائف على تمجيده
وتعظيمه وتقديره وتكريمه ، ونهاية المخالفون ، وأنفخر بحججه وأدلة
المناظرون وظهرت تبنيه فضائح المبتدعة والمخالفين ، وقام بضرر
السنة وأطهار الدين ، وارت صنفاته في الدنيا سيرًا شمس
في البعثة وأعمال ، وشهد له المخالف والموافق بالتفقدم والكمال .

الإمام ابن النجاشي

كان رضي الله تعالى عنه رفيع المقام ، شهد له بالصدقية الأولى
الكرم ، انتشر فضله في الآفاق ، تمييز بكتابه التصانيف
وحسنها على العلماء ، وبرع في الذكاء وحسن العبارة وسوسيتها
وأُيدَ حتى صار أفحى مفرق عنده أسهل من شرب الماء .

الإمام اليافعي

قالوا عن «إحياء علوم الدين»

كاد «الإحياء» أن يكون قرآنًا يُتلى .

الإمام النووي

وأما مصنفاته .. فمنها كتاب «إحياء علوم الدين» وهو من أجل الكتب وأعظمها ، حتى قيل فيه : إنَّه لو ذهبَت كتبُ الإسلام بقي «الإحياء» لأنْجَنَى عِمَّا ذهبَ .

الإمام الصنفدي

الإحياء وديوان الإسلام .

الإمام السهروردي

«الإحياء» مبنيٌ على : إذا صحت صلح الجسد كله .

الإمام ابن خلkan

هو من الكتب التي ينبعى للمسامين الاعتناء بها واسعتها ، ليهتمي بها كثيرون من الخلق ، وقدما نظرًا إلى ناظر الآلات يقتضي به في الحال .

الإمام السبكي

◦ و منها «إحياء علوم الدين»، وهو من نفس الكتب وأجملها.

الإمام ابن خلkan

◦ و كتاب «الإحياء»، وهو الأعجوبة لعظيم الشان.

الإمام ابن قاضي شهبة

◦ «إحياء علوم الدين» لا يستغني عنه طالب الآخرة.

الإمام السبكي

◦ وعليك إن أردت أن يظهر لك الحق وأن تعمل بالصدق بمحطاتك

«الإحياء».

الإمام ابن حجر الهيثمي

◦ والله لو بعث الله الأموات لما أوصوا الأحياء، إلا بما في «الإحياء»

العلامة بكري محمد شطا المكسي

◦ كتاب «الإحياء» يورنك لعلم.

الإمام أبو الحسن الشاذلي

◦ «الإحياء» من أشرف مصنفاته، وأشهرها ذكرًا، وأعظمها قدرًا.

الحافظ محمد مرتضى الزبيدي

لهم كين للناس في الكتب التي صنفها أهل العلم إلّا «الإحياء»
لكل فهم ، وأنا لا أعرف لنظريرًا في الكتاب التي صنفها الفقراء ،
أبجى معون في تصانيفهم بين لفظ لفظ ولفظ ولفظ والأشد غيره .

الإمام السبكي

• لو عدمت كتب مذهب الشافعى .. لا تخرج المذهب من «الإحياء»



مقدّمات التحقّيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، الذي فضل أولي العلم على من سواهم
تفضيلاً ، ورفعهم إلى العلياء ، وسلك بهم المحجة البيضاء .
والصلاه والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين ، سيدنا أبي القاسم
الأمين ، الذي قال : « العلماء ورثة الأنبياء »^(١) ، وعلى آله الأكرمين ،
وصحابته الغرّ الميمان ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أَمَاعِدُ :

فإنَّ شخصيَّة الإمام الغزالى المجدد كانت ولا نزال معترك الأقلام ،
وميداناً فسيحاً لجري الألسن في هذا المضمار ، شأنه شأن العباءة العظام .
فمنذ دُوَّى اسمُه في الآفاق ، وسارت مؤلفاته مسيراً الشمس ، وأبهرت
مصنفاتهُ الخاصَّة والعَامَّة . نُسجت حول شخصيَّته حالات ، لا سيما وقد ولد
في عصر متلاطم بأمواج التيارات الفكرية .

تفتحت عقلية هذا الإمام في هذا المحيط الذي يعجُّ بالأعاصير ؛
فوهبه الله تعالى تسديداً في الأقوال ، ونوراً يبصرُ به المنهاج الإلهيَّ ، وفقهاً
في الدين .

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١) ، والترمذى (٢٦٨٢) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

فلذلك صار حجّة الإسلام ، ولسانَ الملة ، والذائد عن حوزتها ، والمجدد لمعالمها ، مستمدًا من نصوص التشريع الإسلامي ما يقارع به حجج المشكّين والمضلين تارةً ، والرد عليهم بطريقتهم تارةً أخرى .

وهو في الحقيقة شخصيّةٌ فدّه صدق من قال فيه : (الغزالى لا يعرف فضلَه إلّا من بلغ أو كاد يبلغ الكمال في عقله)^(١) .

(ب)

والخلاصة : أن هذه الشخصية التي كان التوفيقُ شعارَها ، والإخلاصُ دثارَها .. هي من الطرازِ المحمديّ .

فقد جاء في سنةِ الحبيب صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ إشاراتٌ بيّناتٌ إلى علم هؤلاء الأصفياء ، وجملٌ وأضحت تُنعت هؤلاء القوم .

فقد سُئلَ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ عن قوله تعالى : « فَمَنْ يُرِيدُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحَ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ » قال : « هو نور يقذفه الله تعالى في القلب » ، فقيل : وما علامته يا رسول الله ؟ فقال : « التجافي عن دار الغرور ، والإناية إلى دار الخلود »^(٢) .

وبنظرةٍ فاحصيةٍ إلى سيرة هذا الإمام المجدد.. ندرك أن هذا الإمام

(١) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٢٠٢ / ٦) .

(٢) أخرجه الحاكم (٣١١ / ٤) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

رحمه الله تعالى منخرطٌ في هذا السُّلُك ، يشمله هذا التفسيرُ النبويُّ بطريقٍ واضحٍ لا لبسَ فيها ولا غموضٍ ، حتى قال فيه شيخه إمام الحرمين : (إنَّه بحرٌ مغدقٌ)^(١) .

بل كان يفخر بتلمذته على يديه ، ويعده ذلك من مناقبه ، هذا وهو طالب علم ينادم حلقات الأئمة الأعلام ، ويلازم أولي المعرفة ، حتى بلغ الشأن القصي في العلم والمعرفة ، وتوج ذلك بالتنسق الصوفي المستقيم على هدىٍ ومعرفةٍ ؛ حتى أشرقت روحه في صفاء ، وبلغ مراتب قال هو عنها : (لا يصح البوح بها لمن لم يكن من أهلها) .

ولذلك طرح الدنيا وملذاتها ، وقد جمعت له زخارفها تحت قدميه ، فما بهرته مظاهرها ، ولا فتنته شهواتها ؛ لأن روحه تسامت فوق مظاهر المادة .

ويرحم الله تعالى الحافظ العراقي حين قال : (إنه - أي : « الإحياء » - من أجل كتب الإسلام في معرفة الحلال والحرام ، جمع فيه بين ظواهر الأحكام ، ونزع إلى سرائر دقت عن الأفهام ، ولم يقتصر فيه على مجرد الفروع والمسائل ، ولم يبح في اللُّجَّة بحيث يتعدّر الرجوع إلى الساحل ، بل مزج فيه علمي الظاهر والباطن) .

بل ذكر التاج السبكي رحمه الله تعالى في « الطبقات » عن قول بعض

(١) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٦/١٩٦) .

المحققين : (لو لم يكن للناس في الكتب التي صنفها الفقهاء الجامعون في تصانيفهم بين النقل والنظر والفكر والأثر غيره .. لكتفى)^(١) .

ولا نريد الاسترسال في وصف « الإحياء » ؛ فإن هذا سيجعل المقال بطيناً ، ويكتفي من القلادة ما أحاط بالجيد .

(ج)

ولئن كان بعض المتقدّمين والمتأخّرين أسرفوا في الطّعن على هذا الإمام رحمة الله تعالى ، ونسبوه إلى الجهل بالسُّنة النبوية ، وبأنه حاطب ليل ، وجروا في هذا الميدان ملياً .. إلا أن هذا الطّعن في الحقيقة لبس عباءة الإسراف ، وعمامة التحامّل .

ذلك لأنّه وإن قال هو عن نفسه في كتابه « قانون التأويل » : (بضاعتي في علم الحديث مزاجة)^(٢) ، إلا أنّ هذا منه رحمة الله تعالى تواضعٌ وبيانٌ أنه ليس متبحراً فيه كسائر العلوم الأخرى ، وهذا مجرد تقليل ل شأنه فيه ، واعتراف بالفضل لأهل الاختصاص ، وإنما .. فإن الواقع العملي الذي شهد به الحافظ العراقي الذي خرج أحاديثه - وهو أعرف بها من غيره - أن في « الإحياء » آلف الأحاديث الصحيحة والحسنة التي استشهد بها الغزالي ،

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٢٥٢ / ٦) .

(٢) قانون التأويل (ص ٣٠) .

وتسربت بعض الأحاديث الضعيفة وقليل جدًا دونها في فضائل الأعمال .

وقد قال إمام المحدثين أحمد ابن حنبل رضي الله عنه : (إذا روينا في
الحلال والحرام.. تشدّدنا ، وإذا روينا في فضائل الأعمال.. تساهلنا) ^(١) .

وهل الذي يروي في كتبه آلاف الأحاديث تكون بضاعته مزاجة ، كلا
والله ، ولكن هذا هو عين عبرية لهذا الإمام المجدد .

ومن الأدلة اليقينية على بصر الإمام بالسنة النبوية أن كتابه «الوجيز» -
وهو مختصرٌ فقهي - معظم عباراته تشير إلى أحاديث نبوية ، بل في كثيرٍ من
المواطن يذكر الحكم الفقهي بعبارة الحديث نفسه ، وهذا ما دفع الإمام أبي
القاسم عبد الكري姆 بن محمد الرافعي المتوفى سنة (٦٢٣هـ) ، إلى أن
يعنى ببيان الأحاديث التي أشار إليها الغزالى أو اعتمد عليها في «وجيزه» ،
وهو كتاب الشهير المفيد : «العزيز شرح الوجيز» ^(٢) .

(د)

وقد انعقدت كلمة الأكابر أن الإمام الغزالى رحمه الله تعالى هو مجدد

(١) انظر «جامع الأصول» (١٠٩/١) .

(٢) قال ابن السبكي في «طبقات الشافعية» (٢٨١/٨) : (تحرز بعض أصحابنا عن
تسميتها بـ«العزيز» أي : لأن العزيز اسم من أسماء الله الحسنى ، واختار تسميتها بـ«فتح
العزيز») .

القرن الخامس بلا منازع ؛ لأنَّ الإمام الغزالى الصَّيْت بلا مدافع ، وقد صحَّ عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعِثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةٍ سَنَةٍ مِّنْ يَجْدِدُ لَهَا دِينَهَا »^(۱) .

قال أهل العلم : إنَّ معنى التجديف : هو أنَّ يبيَّن المجدِّدُ السُّنَّةَ من البدعة ، ويؤيِّدُ أهلَ العلمَ والاتِّباعَ ، ويذَلِّلُ أهلَ الضلالِ والابتداعَ .

وهذه هي سمات الإمام الغزالى التي تتحقق بها ، وقد أشار إلى تجديده واتفاق الكلمة على ذلك الإمام السيوطي في أرجوزته المسمى « تحفة المهتمين بأخبار المجدِّدين » فقال :

وَالْخَامِسُ الْحَبْرُ هُوَ الْغَزَالِيُّ وَعَدَهُ مَا فِيهِ مِنْ جِدَالٍ

وقد كان الإمام الغزالى رحمه الله تعالى يرى أنه أحد المجدِّدين كما نلمح ذلك في قوله وهو يستعرض الأسباب التي دعته إلى العودة للتدرис بعد انقطاعه عنه فيقول : (وانضاف إلى ذلك منamas من الصالحين كثيرةً متواترةً ، بأن هذه الحركة مبدأ خير ورشد ، قدّرها الله سبحانه وتعالى على رأس هذه المئة ، وقد وعد الله سبحانه بآياته دينه على رأس كل مئة سنة ، فاستحكم الرجاء ، وغلب حسن الظن بسبب هذه الشهادات ، ويسَّرَ الله تعالى الحركة إلى نيسابور للقيام بهذه المهمة)^(۲) .

(۱) أخرجه أبو داود (۴۲۹۱) ، والحاكم (۵۲۲ / ۴) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(۲) المنقد من الضلال (ص ۲۹) .

وبنظره عجل إلى منهج الإمام بصورة عامة في مؤلفاته التي يقارع فيها فكر أهل الأهواء بالعقل والنقل .. نجده في هذا الميدان يدراً التعارض بين العقل والنقل ، ويظهر بفقهه العميق التلامح بينهما ؛ وهذا من المطالب السامية لمن يحمل هذا العلم الشرعي ؛ ورداً على أهل البدع القائلين بوجود التباين بين النقول وما تقتضيه الأفهام والعقول .

وهذا أحد العوامل التي جعلته أهلاً للتلقب بحجۃ الإسلام .

ولذلك فإن التوافق بين العقل والنقل في سفرنا هذا نجده ماثلاً في كثيرٍ من نصوصه .

وهذه الميزة التي انفرد بها الإمام الغزالى عن كثير من أضرابه واحدةٌ من كثیر من مآثره الجليلة ومناقبه النبيلة التي رفعته على بساط العبرية ، ومنحته هذه المكانة السامية .

وهذا نص للإمام من عشرات النصوص المنتشرة في ثنايا مؤلفاته ، قال رحمة الله تعالى : (لا يمكن أن يكون هناك تناقض بين العقل والدين ، أو بين العقل والشرع ؛ فالعقل كالأسن ، والشرع كالبناء ، ولا يمكن تصور أحدهما بدون الآخر ، فلا نفع في أساس بدون بناء ، ولا ثبات لبناء بدون أساس)⁽¹⁾ .

(1) معاجل القدس في مدارج معرفة النفس (ص ٥٧) .

(ه)

عاش الإمام الغزالى رحمة الله تعالى في عصرٍ من عصور الإسلام الذهبية؛ خصوصاً في المجالات العلمية؛ حيث كانت المدارس المتنوعة والمتخصصة، ومنها المدارس النظامية نسبةً إلى نظام الملك.

وكان الإمام الغزالى رحمة الله تعالى أيام إقامته بالمعسرك يحضر مجلس نظام الملك للمناظرة والدفاع عن عقيدة أهل السنة التي كان النظام القييم السياسي عليها في عصره.

وكان نظام الملك سنّياً، صوفياً، شديد التعلق بالصوفية، شديد التّعصب لهم ولمبادئهم، مسرفاً أشدّ الإسراف في البذل عليهم، وإعداد التكايا لهم وخدمتهم، وتوفير الفراغ لهم لتعبدهم وصفاء أوقاتهم، حتى واجه الخليفة بتلك المقوله المأثورة عنه وهو يعاتبه لإسرافه في النفقة عليهم وشغله بهم، فقال له: (لقد أقمنا لك عباداً بالليل، لو صاحوا.. لرُزلت الدنيا بخصوصك، ومادت بهم الأرض).

والذي يهمنا في هذه المقدمة: أن الصوفية الحقة التي تعشقها الإمام الغزالى رحمة الله تعالى، وخالفت شغاف فؤاده.. هي التي بسط طرائقها بعلمه وحكمته، وأبان للناس أحوالها، بعيداً عن الغلو والتهاك، وأحكم لها أصولها؛ حتى غدت قواعدها راسيةً، واستقامت على يده كعلمٍ مؤصلٍ يعُجُّ بآدابه وسلوكيه.

وما أحوجنا في هذا العصر الذي أتخم أهله بالمادّيات ، وأشغل أوقاتهم بالملهيّات ، وظهر من القلوب الجفاء والقسوة ، وتلاشى الصفاء الروحي عند الجمهرة ، ما أحوجنا إلى هذا السّفر العظيم : « إحياء علوم الدين » فإنه البِلَسْم لأدواء القلوب ، المقرب إلى رضا عالَم الغيوب .

ثم إن النفس لتنفر من مهاجمة الأحياء للأموات ، ولا سيما إن كان المتقدّون أقل شأنًا في العلم من أولئك ؛ على حد قول المثل : (من قل علمه .. كثُر انتقاده) .

وهذا ليس من فعل أهل المرءّات ، ولا هو منهج أهل التقوى الذين امتدحهم التنزيل في قوله : « وَالَّذِينَ جَاءُ وَمِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلَا يُخْزِنَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا إِلَيْهِنَّ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غُلَالً لِلَّذِينَ أَمْنَأْرَبَنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » .

على أن بعضهم يغرق في عبارات الإمام ويتحير ويقف حمار الشيخ في العقبة ، ومع ذلك يصلو بقلمه على الإمام ويقول كأنما هذا من أوجب الواجبات ، وربما كان الغرض الأوحد طلب الشهرة على حساب المشهورين .

(و)

ودار المنهاج التي اضطاعت بإخراج الأسفار النّفيسة في حلٍ قشيبة .. لا تزال مشمّرةً عن ساعد الإنجاز ؛ فهي تخرج لنا جواهر الكتب بين الفينة

والأخرى ، حتى لقد أصبح يُشار إليها بالبنان ، وينوه بها طلبةُ العلم في كلّ مكان ، وعلى وجه الخصوص كتب السادة الشافعية .

فقد أخرجت لنا بفضل الله ، ثم بفضل عزمات صاحبها كتاباً كانت في الدهاليز مطمورةً ، وما نسمع عنها إلا بواسطة المشايخ أو النقل ، فأشرقت بضياء الطباعة ، وازدانت بحلل التحقيق ، وطارت يمنةً ويسرةً ، وتلقفها طلبةُ العلم في شغفٍ ونهم ، وأصبح الحلم حقيقةً ، ولا سيما وقد أخرجت لنا « نهاية المطلب » الحاوي لأصول المذهب وفروعه ، وغيره من الأسفار العظام لأئمة أعلام ؛ كـ « البيان » للإمام العمراني ، وـ « النجم الوهاج في شرح المنهاج » للإمام الدميري ، وـ « حاشية الترمسي على المنهج القوي » في سبع مجلدات ، وغيرها من النفائس .

ولأنَّ « إحياء علوم الدين » جامعٌ للفقه والسلوك ، وأسلوبه تبرُّ مسبوك ، والناس في هذه الأيام النكدة بحاجة إليه وإلى أمثاله ؛ ليُحدَّ من انجذابهم إلى الماديات والملذات ، والإعناق ملياً لميدان الشهوات . فإنَّ الدار قامت بخدمة هذه الموسوعة الدينية خدمةً متميزةً تليق بمستواها العلميّ ، وتسهّل على الناظر العثور على ما يريد ، وهي بذلك تسهمُ إسهاماً حقيقياً في نشر الثقافة الإسلامية والوعي الدينيّ .

(ز)

وختاماً : فإنَّ الدار وهي تهدي إلى الأمة الإسلامية هذا السفر النفيس

في عشر مجلدات محققاً على نحو عشرين مخطوطه جلبت من أصقاع الأرض .. لترجو وتفاءل أن يكون بروز هذا الكتاب بداية للفرج الإلهي على الأمة الإسلامية التي تئن تحت وطأة الاختلاف والفرقة ، وتكالب الأعداء عليهم .

سائلين المولى جل وعلا أن يرفع عنا مقته وغضبه ، وأن يهبيء لنا من أمرنا رشدًا ، ويدفع عنا السوء ، ويجنينا الفتنة والمحن ، ما ظهر منها وما بطن ؛ إنه سميع مجيب .

وَاحْمَدُ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ

فَكَتَبَهُ

أبو عبد الباري

محمد عبد الرحمن شحيلية الأهل

سند «إحياء علوم الدين»

أروي كتاب «إحياء علوم الدين» وسائر مؤلفات الإمام الغزالى بالإجازة المعتبرة : عن شيخي المعمر بقية السلف الفقيه الزاهد السيد أبي عبد الله حمود بن أحمد بن عبد الرحمن بن حسين شميلة الأهلل حفظه الله تعالى ونفع به^(١) ، عن الشيخ العلامة قاضي المراوعة السيد عبد الرحمن بن محمد الأهلل ، عن والده العلامة السيد محمد بن عبد الرحمن الأهلل ، والعلامة السيد محمد طاهر بن عبد الرحمن الأهلل ، كلامهما عن العلامة الحجة شيخ الإسلام السيد محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهلل ، عن عمّه العلامة السيد الحسن بن عبد الباري الأهلل ، عن الإمام العلامة محدث اليمن السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهلل الزبيدي صاحب «النفس اليماني » ، عن إمام المسندين وخاتمة الحفاظ المحدثين السيد أبي الفيض محمد مرتضى بن محمد الزبيدي الحسيني نزيل مصر ، عن العلامة المسند الثقة أبي عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد عقبة المكي ، عن محدث الحجاز المسند أبي الأسرار حسن بن علي يحيى العجمي ، عن الإمام المسند الوارث صفي الدين أحمد بن محمد بن يونس القشاشي ، عن الإمام

(١) لشيخنا العلامة المعمر والفقىء المنور السيد أبي عبد الله حمود أحمد حسين شميلة الأهلل ترجمة ضافية في مقدمة كتاب «إفادة السادة العمد» (ص ٣٥) طبعة دار المنهاج .

المجتهد الشمس محمد بن شهاب الدين أحمد بن حمزة الرملي ، عن شيخ الإسلام القاضي أبي يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الأنصارى ، عن إمام الحفاظ والمحدثين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلانى ، عن شيخ الإقراء ومسند القاهرة أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد التنوخي ، عن قاضي القضاة مسند الشام الإمام أبي الفضل التقي سليمان بن حمزة بن أحمد المقدسي الحنبلي ، عن المسند الأمين أبي حفص عمر بن كرم الدينوري ، عن الإمام الحافظ المفيد أبي الفرج عبد الخالق بن أحمد اليوسفى البغدادي ، عن المؤلف حجة الإسلام وال المسلمين أبي حامد محمد بن محمد الغزالى .

(ح) كما يرويها شيخنا العلامة المعمر السيد حمود بن أحمد بن عبد الرحمن بن حسين شميلة الأهلل حفظه الله تعالى بالإجازة العامة : عن أخيه العلامة السيد أحمد ميقري بن أحمد بن عبد الرحمن حسين بن شميلة الأهلل ، عن العلامة قاضي المراوعة السيد عبد الرحمن بن محمد الأهلل . بـالإسناد المتقدم إلى الإمام الغزالى رحمه الله تعالى .

وَكَتَبْتُ
عَمَرْ سَعِيدَ بْنَ جَيْفَ

ترجمة
الإمام المجيد ، أعموبة الزمان ، المُسْكِمُ النَّظَار
زَيْنُ الدِّين ، أَبِي حَامِدٍ
مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ الطَّوْسِيِّ الطَّابَرَانيِّ الشَّافِعِيِّ
حَجَّةُ الْإِسْلَامِ الغَزَالِيِّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٤٥٠ - ٤٥١ - ٥٥٠ هـ = ١١١١ م)

قَالَ الْفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .. أَتَرِيفُ مُحَمَّدَ بْنَ طَهْرَانَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْجَسِيدِيِّ الْوَاسِطِيِّ
 عَفَا اللَّهُ عَنْهُمَا .. فِي كِتَابِهِ « الْمَطَالِبُ الْعَلِيَّةُ فِي مَاقِبَ الْشَّافِعِيَّةِ » ^(١) :

منهم^(٢) الإمام حجّة الإسلام الغزالى رضي الله عنه ، القائم على رأس

(١) وهو مخطوط مصور عن نسخة مكتبة فيض الله ، من مقتنيات المكتبة السليمانية بإستنبول ، برقم (١٥٢٥) .

وقد زيد في هذه الترجمة من « تاريخ دمشق » (٥٥ / ٢٠٠) و « طبقات فقهاء الشافعية » لابن الصلاح (١ / ٢٤٩) ، و « سير أعلام النبلاء » (١٩ / ٣٢٢) ، و « الوافي بالوفيات » (١ / ٢٧٤) ، و « طبقات الشافعية » للسبكي (٦ / ١٩١) ، و « البداية والنهاية » (٦ / ١٤) ، و « إتحاف السادة المتقين » (١ / ١٤) .

وتجدر بالذكر : أن الإمام عبد الغافر الفارسي (ت ٥٢٩ هـ) هو أول من ترجم للإمام الغزالى في كتابه « السياق » وهو ذيل على « تاريخ نيسابور » للحاكم ، وهو م ضمن بالكامل في ترجمة الإمام الغزالى عند السبكي في « طبقاته » .

(٢) أي : من أئمة الشافعية .

الخمس مئة ، المبئر به في الحديث^(١) : محمد بن محمد بن محمد بن
أحمد الطوسي الطابري الشافعى ، الإمام أبو حامد الغزالى^(٢) .

حجّة الإسلام والمسلمين ، إمام أئمّة الدين ؟ من لم تر العيون مثله لساناً
وياناً ونطقاً ، وخارطاً وذكاءً وطبعاً ، أحد الأئمّة في التصنيف والترتيب
والتقريب والتعبير والتحقيق والتحرير .

ولد بطوس ، سنة خمسين وأربعين مئة (٤٥٠ هـ) ، وهي السنة التي ماتت
فيها الماوردي وأبو الطيب الطبرى رحمهم الله تعالى .

وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس ، فلما احتضر ..
أوصى بولديه (محمد وأحمد) إلى صديق له صوفي صالح .

فعلّمهما الخطّ ، وفني ما خلّف لهما أبوهما ، وتعذر عليهما القوت ،
فقال لهما : أرى لكم أن تلجأا إلى المدرسة كأنكم طالبا علم !!

فصارا إلى مدرسة لطلب الفقه ، حيث قال الغزالى رحمة الله تعالى :
(فصرنا إلى المدرسة ، نطلب الفقه ، ليس المراد سوى تحصيل القوت ،
فكان تعلمنا لذلك لا لله ، فأبى أن يكون إلا لله) .

(١) الذي أخرجه أبو داود (٤٢٩١) ، والبيهقي في «معرفة السنن والآثار» (٢٠٨/١)
عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الله
يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها» .

(٢) الغزالى : روى بشديد الزاي ، نسبة إلى والده الذي عمل غزاً ، وهذا هو القول
المشهور ، وروي بتحفيف الزاي ؛ نسبة إلى غزالة كصحابه ، قرية من قرى طوس .

فاستغلَ الغزالُ ببلده طوسَ ، وقطعَ قطعةً كبيرةً في الفقهِ على الإمامِ
أحمدَ الراذكانيَّ .

ثمَ ارتحلَ إلى جرجانَ بعدما استدَّ عودُه إلى الإمامِ أبي نصرِ الإسماعيليِّ
فأقامَ عندهٗ حتى كتبَ عنهُ « التعليقةَ » .

ثمَ قدمَ نيسابورَ مختلِفاً إلى درسِ إمامِ الحرمينِ أبي المعاليِ الجونيَّيِّ في
طائفةٍ من الشبَّانِ مِنْ طوسَ ، وجدَ واجتهدَ حتَّى تخرَّجَ عنْ مدةٍ قريبةٍ ، وبزَّ
الأقرانَ ، وحملَ القرآنَ ؛ وصارَ أنظَرَ أهلِ زمانِهِ ، وأوْحَدَ أقرانِهِ في أيامِ إمامِ
الحرمينِ .

وكانَ الطلبةُ يستفيدونَ منهُ ، ويُدرِّسُ لهمْ ويرشُدُهمْ ، ويجتهدُ في
نفسِهِ ، وبلغَ الأمْرُ بهِ إلى أنْ أخذَ في التَّصنيفِ في حياةِ الإمامِ الجونيَّيِّ ،
فصَنَّفَ « المنخولَ » في أصولِ الفقهِ ، فحينَ نظرَ فيهِ شيخُهُ الجونيَّيُّ قالَ :
(دُفِنتَيْ وَأَنَا حَيٌّ ، هَلَّا صَبَرْتَ حَتَّى أَمُوتَ)^(١) .

ثمَ بقيَ كذلكَ إلى انقضاءِ أيامِ الإمامِ الجونيَّيِّ ، فخرجَ مِنْ نيسابورَ ،

(١) ليست هذه العبارة التي قالها الإمام الجوني صادرة عن غيره علمية كما يتوهם بعض الناس ، وإنما المقصود بيان مدى رسوخ ونبوغ الإمام الغزالى في هذا العلم وتفوقه على أقرانه ، وهذا تنبئه على أنه يجب أن يحمل كلام العلماء على أحسن المحامل تحسيناً للظن فيهم ، وهذا ما صرَّح به السلف الصالح .

وإن من سوء الأدب تسارع بعض أقلام المعاصرين إلى التحدث عن هؤلاء العلماء بكلمات متعرية عن لباس الأدب وإجلال أهل العلم .

وصار إلى المعسكيِّر ، واحتلَّ مِنْ مجلسِ الوزيرِ نظامِ المُلْكِ محلَّ القَبُولِ ، وأقبلَ عليهِ الصَّاحِبُ لعلَّهُ درجتِهِ ، وظَهَورِ اسْمِهِ ، وحسُنِ مناظرتهِ ، وجري عبارتهِ .

وكانَتْ تلكَ الحضرةُ محطًّ رحالِ العلماءِ ، ومقصدَ الأئمَّةِ الفصحاءِ ، فوقعَتْ للغزالِيِّ اتفاقاتٌ حسنةٌ مِنَ الاتخالطِ بالأئمَّةِ ، وملاقاةِ الخصومِ اللَّدُّ ، ومناظرةِ الفحولِ ، ومنافرةِ الكبارِ ، فظهرَ اسمُهُ في الآفاقِ ، وارتفقَ بذلكَ أكملَ الارتفاعِ ، حتَّى أدَّتْ بهِ الحالُ إِلَى أَنْ رُسِّمَ للمصيَّرِ إِلَى بغدادَ للقيامِ بتدريسيِّ المدرسةِ الميمونةِ النَّظاميَّةِ بها .

فصارَ إِلَيْها سَنَةً (٤٨٤هـ) ، وأعْجبَ الْكُلُّ بِتَدْرِيسِهِ وِمناظرِتِهِ ، وما لَقِيَ مِثْلَ نَفْسِهِ ، وتلقَّاهُ النَّاسُ ، وأعْجَبُوا بِمِناظرِتِهِ وِفَضَائِلِهِ ، وصارَ بَعْدَ إِمامًا خراسانَ إِمامًا العَرَاقِ .

ثمَّ نظرَ فِي عِلْمِ الأَصْوَلِ وَكَانَ قَدْ أَحْكَمَهَا ، فصَنَّفَ فِيهِ تَصَانِيفَ ، أَعْظَمُهَا «المُسْتَصْفِي» .

وَجَدَّ المذهبَ فِي الْفَقِهِ ، فصَنَّفَ فِيهِ تَصَانِيفَ ، مِنْهَا : «البَسيطُ» و«الوسيطُ» و«الوجيزُ» و«الخلاصةُ» .

وَسَبَكَ الْخَلَافَ ، فَحَرَّرَ أَيْضًا فِيهِ تَصَانِيفَ .

وَعَلَتْ حَشْمَتُهُ وَدَرْجَتُهُ فِي بَغْدَادَ ، حتَّى كَانَتْ تَغلُّبُ حَشْمَةِ الْأَكَابِرِ وَالْأَمْرَاءِ وَدَارِ الْخَلَافَةِ .

ثُمَّ جاءَتُهُ السُّعَادُ الْحَقِيقِيَّةُ ؛ وَهِيَ الْعَزْوَفُ عَنِ الدُّنْيَا وَالْزَّهَادَةُ فِيهَا . . .
فَانْقَلَبَ الْأَمْرُ مِنْ وِجْهٍ آخَرَ ، وَظَهَرَ عَلَيْهِ بَعْدَ مَطَالِعَةِ الْعِلُومِ الدُّقِيقَةِ وَمَارِسَةِ
الْكِتَابِ الْمُصَنَّفِ فِيهَا أَنَّهُ سَلَكَ طَرِيقَ التَّزَهُّدِ وَالتَّائِلِ ، وَطَرَحَ الْحَشْمَةَ ، وَتَرَكَ
مَا نَالَ مِنَ الْدَّرْجَةِ ، وَأَخْذَ فِي الْإِشْتِغَالِ بِأَسْبَابِ التَّقْوَى وَزَادَ الْآخِرَةُ ؛ فَخَرَجَ
عَنْ جَمِيعِ مَا كَانَ فِيهِ .

وَقَصَدَ الْحَجَّ سَنَةً (٤٨٨ هـ) ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى دَمْشَقَ سَنَةً (٤٨٩ هـ) ،
وَأَقَامَ بِهَا قَرِيبًا مِنْ عَشِيرِ سِنِينَ بِجَامِعِهَا بِالْمَنَارَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهَا ، وَاجْتَمَعَ بِالْفَقِيهِ
نَصْرِ الْمَقْدُسِيِّ فِي زَاوِيَّتِهِ الَّتِي تَعْرُفُ الْيَوْمَ بِالْغَزَالِيَّةِ .

وَأَخْذَ فِي التَّصَانِيفِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي لَمْ يُسْبِقْ إِلَيْهَا ؛ مِثْلٍ : « إِحْيَاءِ عِلُومِ
الدِّينِ » ، وَالْكِتَابِ الْمُخْتَصِّرِ مِنْهَا ؛ مِثْلٍ « الْأَرْبَعِينَ » ، وَغَيْرِهَا مِنَ الرِّسَالَاتِ
الَّتِي مَنْ تَأْمَلَهَا . . . عِلْمٌ مَحَلٌّ الرَّجُلُ مِنْ فَنُونِ الْعِلْمِ .

وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ : (أَحْصَيَتْ كُتُبُ الْغَزَالِيِّ الَّتِي صَنَفَهَا ، وَوُزَّعَتْ عَلَى
عُمُرِهِ ، فَخَصَّتْ كُلَّ يَوْمٍ أَرْبَعُ كُرَارِيسَ ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ)^(١) .

وَأَخْذَ فِي مَجَاهِدِ النَّفْسِ ، وَتَغْيِيرِ الْأَخْلَاقِ ، وَتَحْسِينِ الشَّمَائِلِ ،
وَتَهْذِيبِ الْمَعَاشِ ، فَانْقَلَبَ شَيْطَانُ الرُّوعَةِ ، وَطَلَبَ الرَّئَاسَةَ وَالْجَاهِ ،
وَالْتَّحَلُّقُ بِالْأَخْلَاقِ الْذَّمِيمَةِ . . . إِلَى سَكُونِ النَّفْسِ ، وَكَرَمِ الْأَخْلَاقِ ، وَالْفَرَاغِ
عَنِ الرَّسُومِ وَالْتَّزَيِّنَاتِ ، وَالتَّزَيِّي بِزَيِّ الصَّالِحِينَ ، وَقَصْرِ الْأَمْلِ .

(١) بستان العارفين () .

ووقفَ أوقاتَهُ علىِ هدايةِ الخلقِ ودعائِهم إلىِ الزهدِ في الدنيا والعزوفِ عنها، والاستعدادِ للدارِ الآخرةِ الباقيَةِ والاشتغالِ بعلومِ المعرفةِ، والانقيادِ لكلٍّ مَنْ يتوسَّمُ فيهِ أو يشمُّ منهُ رائحةَ المعرفةِ، حتىٌ فتحَ لهُ مِنْ ذلِكَ أوفُرُ نصيَّبٍ.

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

ثمَّ مِنْ بعِدِ ذلِكَ عادَ إِلَى وطنهِ طوسٍ ، لازمًاً بيتهُ ، مشتغلًاً بالتفكيرِ ، محافظًاً علىِ أوقاتِهِ ، إِلَى أَنْ أتَى عَلَى ذلِكَ مَدَّةً ، وظهرَتْ تلكَ التَّصانِيفُ واشتهرَتْ .

ولمْ يزلْ عَلَى ذلِكَ حَتَّى انتَهَتْ نُوبَةُ الوزارةِ إِلَى الأَجْلِ فخرِ الملكِ ، جمالِ الشهداءِ تغمَدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ ، وتزيَّنَتْ خراسانُ بِحشمتِهِ ودولتِهِ ، وقد سمعَ فخرُ الملكِ وتحقَّقَ بِمَكَانِ الغزَّاليِّ ودرجتِهِ فحضرَ إِلَيْهِ متبرِّكًا بِهِ ، فلماً سمعَ كلامَهُ .. استدعيَ مِنْهُ أَلَا يُبَقِّيَ أنفاسَهُ وفوائدَهُ عَقِيمَةً لا استفادةَ مِنْ آنوارِهَا وَلَا اقتباسَ ، وألحَّ عَلَيْهِ كُلَّ الإِلْحَاحِ ، وتشدَّدَ فِي الاقتراحِ ، إِلَى أَنْ أجابَ إِلَى الخروجِ وحملَ إِلَى نيسابورَ ، فأُشيرَ عَلَيْهِ بِالتَّدْرِيسِ فِي المدرسةِ النَّظَامِيَّةِ بِهَا ، فلمْ يجدْ بَدَأًا مِنَ القبولِ ، ونوى بِإِظهارِ مَا اشتغلَ بِهِ هدايةَ الطالبِينَ ، وإِرشادِ القاصِدِينَ مَعَ جَدِّهِ واجتهاهِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مَمَّا خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ آنوارِ المعرفةِ .

وكانَ قد ابْتَدَأَ أَوَّلًا بِصَحِّيَّةِ الشِّيخِ العارِفِ الفضيلِ بْنِ مُحَمَّدٍ الفارِمَذِيِّ (مِنْ أَعْيَانِ تَلَامِيذِ القَشِيرِيِّ صَاحِبِ «الرِّسَالَةِ») وأَخْذَ مِنْهُ الطَّرِيقَةَ .

ولم يزل على ذلك إلى آخر عمره ، فترك قبل أن يترك ، وعاد إلى بيته ، واتخذ في جواره مدرسةً لطلب العلم وخانقاه (رباطاً) للصوفية ، وكان قد وزَّع أوقاته على وظائف الحاضرين من ختم القرآن ، ومجالسة أهل القلوب ، والقعود للتدريس ؛ بحيث لا تخلو لحظةٌ من لحظاته ولحظاتِ من معه عن فائدة ، إلى أن أصابه عين الزمان ، وضنت به الأيام على أهل عصره ، فنقله الله عزَّ وجلَّ إلى كريم جواره .

وكان خاتمة أمره إقباله على الأحاديث النبوية كـ «البخاري» وـ «مسلم» وغيرهما .



وما أحسن ما قال الإمام فخر الدين الرازي قدس الله روحه : (كأن الله جمع العلوم في قبة ، وأطلع الغزالى عليها) ^(١) .

وقال بعض تلامذته : رأيت حجَّة الإسلام الغزالى في البرية ، وعليه مرقة ، وبidine ركوة وعказة ، فقلت له : أليس تدریس العلم ببغداد خيراً من ذا !؟

قال : فنظر إلى شراراً ، وقال : لما بزغ بدْر السعادة في سماء الإرادة ، وجنحت شمس الأصول إلى معارف الوصول : (من الطويل)

ترَكْتُ هَوَى لَيْلَى وَسُعْدَى بِمَعْزِلٍ وَعَدْتُ إِلَى تَصْحِيحِ أَوَّلِ مَنْزِلٍ

(١) الوفي بالوفيات (١٢٠، ٢١٢).

وَنَادَتْ بِيَ الْأَشْوَاقُ مَهْلًا فَهَذِهِ
 مَنَازِلُ مَنْ تَهْوَى رُوَيْدَكَ فَانْزِلِ
 غَزَّلْتُ لَهُمْ غَزْلًا دَقِيقًا فَلَمْ أَجِدْ
 لِغَزْلِي نَسَاجًا فَكَسَرْتُ مِغَزْلِي



وروى الحافظ أبو القاسم ابن عساكر رحمه الله بسنده في كتابه « تبيين كذب المفترى » عن الشيخ الإمام الأوحد زين القراء ، جمال الحرم ، أبي الفتح عامر بن نحاح بن عامر العربي الساوي بمكة حرسها الله قال :

دخلت المسجد الحرام يوم الأحد فيما بين الظهر والعصر ، الرابع عشر من شوال سنة خمس وأربعين وخمس مئة . . . وذكر قصته إلى أن قال :

كنت أطلب موضعًا أستريح فيه ساعةً على جنبي ، فدخلت الرباط الرامشتى ، ووقيعت على جنبي الأيمن حداء الكعبة المشرفة ، مفترشاً يدي تحت خدي ؛ لكيلا يأخذني النوم ، فتنقض طهارتي .

ثم قال : فيينا أنا كذلك ؛ إذ طرأ علي النعاس فغلبني ، فرأيت في المنام عرصه واسعة فيها ناس كثيرون واقفين ، وفي يد كل واحد كتاب مجلد قد تحلقوا كلهم على شخص ، فسألت الناس عن حالهم ، وعمّن في الحلقة ، قالوا : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء أصحاب المذاهب يريدون أن يقرؤوا مذاهبهم واعتقادهم من كتبهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويصحّحوها عليه .

قال : فيينا أنا كذلك أنظر إلى القوم ؛ إذ جاء واحد من أهل الحلقة وبيده

كتاب ، قيل : إنَّ هذَا الشافعِي رضيَ اللهُ عنْهُ ، فَدَخَلَ فِي وَسْطِ الْحَلْقَةِ ،
وَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال : فرأيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَمَالِهِ وَكَمَالِهِ مُتَلِبِّسًا
بِالثِّيَابِ الْبَيْضِ الْمُغَسَّلَةِ النَّظِيفَةِ ؛ مِنَ الْعُمَامَةِ وَالْقَمِيصِ وَسَائِرِ الثِّيَابِ ،
عَلَى زِيِّ أَهْلِ التَّصُوفِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ الْجَوابَ وَرَحِبَ بِهِ ، وَقَعَدَ الشافعِيَّ بَيْنَ
يَدِيهِ ، وَقَرَأَ مِنَ الْكِتَابِ مِذَهْبَهُ وَاعْتِقَادِهِ عَلَيْهِ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ جَاءَ شَخْصٌ آخَرُ
قَيْلٌ : هُوَ أَبُو حَنِيفَةَ رضيَ اللهُ عنْهُ وَبِيْدِهِ كِتَابٌ ، فَسَلَّمَ وَقَعَدَ بِجَنْبِ
الشافعِيِّ ، وَقَرَأَ مِنَ الْكِتَابِ مِذَهْبَهُ وَاعْتِقَادِهِ .

ثُمَّ أَتَى بَعْدِهِ كُلُّ صَاحِبِ مِذَهْبٍ إِلَى أَنْ لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْقَلِيلُ ، وَكُلُّ مَنْ يَقْرَأُ
يَقْعُدُ بِجَنْبِ الْآخَرِ .

فَلَمَّا فَرَغُوا . . إِذَا وَاحِدٌ مِنَ الْمُبَتَدِعَةِ الْمُلْقَبَةِ بِالرَّافِضَةِ قَدْ جَاءَ وَفِي يَدِهِ
كَرَارِيسَ غَيْرِ مَجْلَدَةٍ ، فِيهَا ذَكْرُ عَقَائِدِهِمُ الْبَاطِلَةُ ، وَهُمَّ أَنْ يَدْخُلُ الْحَلْقَةَ
وَيَقْرَأُهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَخَرَجَ وَاحِدٌ مِنْ كَانَ مَعَ
رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ وَزَجْرَهُ وَأَخْذَ الْكَرَارِيسَ وَرَمَاهَا إِلَى
خَارِجِ الْحَلْقَةِ ، وَطَرَدَهُ وَأَهَانَهُ .

قال : فَلَمَّا رَأَيْتَ الْقَوْمَ قَدْ فَرَغُوا وَمَا بَقِيَ أَحَدٌ يَقْرَأُ عَلَيْهِ شَيْئًا . . تَقْدَمْتَ
قَلِيلًا وَقُلْتَ : يَا رَسُولَ اللهِ ؟ هَذَا الْكِتَابُ مُعْتَقِدِي ، وَمُعْتَقَدُ أَهْلِ السَّنَةِ ،
لَوْ أَذْنَتْ لِي حَتَّى أَقْرَأَهُ عَلَيْكَ ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَأَيْشُ ذَاكَ ؟

قلتُ : يا رسول الله ؟ هو « قواعد العقائد » الذي صنفه الغزالى ، فأذن لي في القراءة ، فقعدتُ وابتداً .

قال : ثم قرأت من أوله إلى أن وصلت إلى نعته صلى الله عليه وسلم ، وهو قوله : (وأنه بعث النبي الأمي القرشي محمداً صلى الله عليه وسلم برسالته إلى كافة العرب والعجم والجن والإنس) .

قال : فلما بلغت إلى هذا .. رأيت البشاشة والتبرّم في وجهه صلى الله عليه وسلم ؟ إذ انتهيت إلى نعته وصفته ، فالتفت إلي وقال : أين الغزالى ؟ فإذا بالغزالى كأنه كان واقفاً على الحلقة بين يديه فقال : هأنذا يا رسول الله ، وتقديم وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرد عليه الجواب ، وناوله يده العزيزة المباركة والغزالى يقبل يده ويضع خديه عليها ؛ تبركاً به وبيده العزيزة المباركة ، ثم قعد .

قال : فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر استبشاراً بقراءة أحد مثلما كان بقراءتي عليه « قواعد العقائد » .

ثم انتبهت من النوم وعلى عيني أثر الدموع مما رأيت من تلك الأحوال والمشاهدات والكرامات . انتهى^(١) .

(١) تبيين كذب المفترى (ص ٢٢٦ - ٢٣١) ، ونقل القصة أيضاً الإمام السبكي في « الطبقات » (٦/٢٢٨ - ٢٣٧) ، واليافعي في « مرآة الجنان » (٣/١٨٧ - ١٨٩) .

واعلم : أنَّ استيفاءً مناقبِهِ وما ثرَّ بِيضيُّ عنْهُ هذا الكتابُ ؛ إِذْ مِنْ حَقِّهِ أَنْ
يكونَ مصنَّفًا مستقلًا .

وقد رأيتُ أنَّ أختتمَ ترجمتَه بكتابٍ كتبَهُ إِلَى بعضِ إخوانِهِ ، مِنْهُ أَنَّهُ قالَ :
لقدْ بلغَني على لسانِ مَنْ أَثْقَبَهُ مِنْ حسنِ سيرةِ الشَّيخِ فلانِ حرسَ اللهُ
توفيقَهُ وتشمُّرَهُ في فهمِ دينِهِ ما قوَّى رغبتي في مؤاخاتهِ في اللهِ تعالى ؟ رجاءً
لما وعدَ اللهُ تعالى عبادَهُ المُتحابِينَ فِيهِ ، ولهذهِ الأخوةُ لا تستدعي مشاهدةَ
الأشخاصِ وقربَ الأبدانِ ، وإنَّما تستدعي قربَ القلوبِ وتعارفَ الأرواحِ ،
وهيَ جنودُ مجندَةٍ ، فإذا تعارفَتْ . . ائتَلَفتْ .

وهأنَا عاقدُ معَهُ الأخوةَ في اللهِ تعالى ، ومقترحُ عليهِ ألاَّ يخليني عنْ
دعواتِهِ في أوقاتِ خلواتِهِ ، وأنْ يسألَ اللهَ تعالى أنْ يريني الحقَّ حَقًا ويرزقني
اتِّباعَهُ ، ويريني الباطلَ باطلًا ويرزقني اجتنابَهُ .

ثمَّ قرعَ سمعي أنَّهُ التمسَّ منِّي كلامًا في معرضِ النُّصحِ والوعظِ ، وقولًا
وجيزًا فيما يجبُ على المكلَّفِ اعتقادُهِ مِنْ قواعدِ العقائدِ .

أمَّا الوعظُ : فلستُ أرى نفسي أهلاً لهُ ؛ لأنَّ الوعظَ زكاةً نصاًبهُ
الاتِّعاظُ ، فمنْ لا نصابَ لهُ . . كيفَ يخرجُ الزكاةَ ، وفاقدُ النورِ كيفَ يستثيرُ
بِهِ غَيْرُهُ ، وممتَّ يستقيمُ الظلُّ والعودُ أعوجُ ؟

وقدْ أوحى اللهُ عزَّ وجلَّ إلى عيسَى عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « يا بنَ
مريمَ : عظْ نفسَكَ ، فإنِّي تعظَّتْ . . فعظِ الناسَ ، وإلَّا . . فاستحيِ مِنِّي » .

والواعظُ واعظانِ : ناطقٌ وصامتٌ ، فالناطقُ القرآنُ ، والصامتُ الموتُ ، وفيهما كفايةٌ لكلٍّ متعظٍ ، فمنْ لمْ يتعظْ بهما . . . كيفَ يعظُ غيره؟ ولقدْ وعظْتُ بهما نفسي ، فصدقَتْ وقبلَتْ قولًاً وعقدًا ، وأبَتْ وتمردَ تحقيقاً وفعلاً .

فقلتُ لنفسي : أما أنتِ مصدقةٌ بأنَّ القرآنَ هو الواعظُ الناطقُ ، وأنَّه الناصحُ الصادقُ ، وأنَّه كلامُ اللهِ المتنزَّلُ ، الذي لا يأتيه الباطلُ مِنْ بينِ يديه ولا مِنْ خلفِه؟

قالَتْ : نعم .

فقلتُ : قدْ قالَ اللهُ تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَهَا نُوقَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيَسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الْأَثَارُ وَحِيطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَنَطَّلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴿ فقدْ وعدَكِ اللهُ عزَّ وَجَلَّ بالنارِ على إِرادةِ الدنيا ، وكلُّ ما لا يصحُّ بَعْدَ الموتِ فهوَ مِنَ الدُّنْيَا ، فهلْ تنزَّهْتِ عنْ إِرادةِ الدنيا وَحْبَها؟

صدقَتْ بذلك .

ثمَّ ما ارْعَوْتُ ، بلْ أصرَّتْ على الميلِ إلى العاجلةِ واستمرَّتْ .

ثمَّ أقبلتُ عليها فوَعْظُتها بالواعظِ الصامتِ ، فقلتُ : قدْ أخبرَ الناطقُ عنْ وصفِ الصامتِ ؛ إذْ قالَ سبحانهُ وَتَعَالَى : ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّمَا مُلَاقِيَكُمْ . . .﴾ الآيةَ .

وقلتُ لها : هبِي أَنِّي ملِّتْ إِلَى العاجِلَةِ ، أَفَلْسِتِ مَصْدِقَةً بِأَنَّ الْمَوْتَ
لَا مَحَالَةَ أَتَيْكِ ، وَقَاطَعْتُ عَلَيْكِ كُلَّ مَا أَنْتِ مُتَمَسِّكٌ بِهِ ، وَسَالَبْتُ مِنْكِ كُلَّ
مَا أَنْتِ راغِبٌ فِيهِ ، وَأَنَّ كُلَّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ ، وَأَنَّ الْبَعِيدَ مَا لَيْسَ بَآتٍ ؟

قالَ تَعَالَى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِنَّ مَعَنَّهُمْ سِينَنَ ﴾ ثُرَجَاهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ
مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَهِنُونَ .

فَأَنْتِ مُخْرَجَةٌ بِهَذَا عَنْ جَمِيعِ مَا أَنْتِ فِيهِ ، وَالْحَرُّ الْكَرِيمُ يَخْرُجُ مِنَ
الْدُنْيَا قَبْلَ أَنْ يُخْرُجَ مِنْهَا ، وَاللَّهُمْ يَتَمَسَّكُ بِأَذِيلِهَا إِلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا خَائِبًا
خَاسِرًا مَتَحَسِّرًا .

فَقَالَتْ : صَدَقْتَ .

فَكَانَ ذَلِكَ مِنْهَا قَوْلًا لَا يَحْصُلُ وَرَاءَهُ عَمَلٌ ؛ إِذْ لَمْ تَجْتَهِدْ قُطُّ فِي التَّزُودِ
لِلآخرَةِ كَاجْتِهادِهَا فِي تَدْبِيرِ الْعاجِلَةِ ، وَلَمْ تَجْتَهِدْ قُطُّ فِي طَلْبِ رَضَا اللَّهِ
تَعَالَى كَاجْتِهادِهَا فِي طَلْبِ رَضَا الْخَلِقِ .

إِلَى أَنْ قَالَ : فَوْجَدْتُنِي كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ : (إِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ
يَمُوتُ نَصْفُهُ وَلَا يَنْزِجُ النَّصْفُ الْآخَرُ) ، وَمَا أُرَانِي إِلَّا مِنْهُمْ .

وَلَمَّا رَأَيْتُهَا مَتَمَادِيَّةً فِي الطُّغْيَانِ غَيْرَ مَشْفَقَةٍ بِوَعْظِ الْمَوْتِ وَالْقُرْآنِ ..
رَأَيْتُ أَهْمَمَ الْأَمْوَارِ الْفَحْصَنَ عَنْ سَبِّ تَمَادِيهَا مَعَ اعْتِرَافِهَا وَتَصْدِيقِهَا ، فَإِنَّ
ذَلِكَ مِنَ الْعَجَائِبِ الْعَظِيمَةِ ، فَطَالَ عَنْهُ فَحْصِي حَتَّى وَقَفْتُ عَلَى سَبِّهِ ، وَهُوَ
طَوْلُ الْأَمْلِ ، وَهَذَا مَوْصِي نَفْسِي وَإِيَّاهُ بِالْحَذْرِ مِنْهُ فِإِنَّهُ الدَّاءُ الْعَضَالُ ، وَهُوَ

السبُبُ الداعي إلى الغرور والإهمال ، وهو اعتقادٌ تراخي الموت ، واستبعادٌ هجومه على القرب ، فإنه لو أخبره صادقٌ في بياضٍ نهاره أنه يموت من ليلته أو يموت إلى أسبوعٍ أو شهرٍ . لاستقام واستوى على الصِّراط المستقيم ، ولترك جميع ما هو فيه .

فإنكشفَ تحقيقاً أنَّ مَنْ أَصْبَحَ وَهُوَ يَأْمُلُ أَنْ يَمْسِيَ أَوْ أَمْسِيَ وَهُوَ يَأْمُلُ أَنْ يَصْبَحَ . لَمْ يَخْلُ مِنَ الْفَتُورِ وَالْتَّسْوِيفِ ، وَلَا يَقْدِرُ إِلَّا عَلَى سَيِّرِ ضَعِيفٍ . فأوصيه ونفسه بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : « صلٌّ صلاةً مودعٌ »^(١) .

ولقد أُوتِيَ صلى الله عليه وسلم جوامِعَ الْكَلِمِ وَالْحَكْمِ وَفَصْلَ الْخُطَابِ ، وَلَا يُنْتَفِعُ بِمَوْعِظَةٍ كَهَذِهِ الْمَوْعِظَةِ .

فَمَنْ عَلَتْ عَلَى قَلْبِهِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ أَنَّهَا آخِرُ صَلَاتِهِ . حَضَرَ مَعَهُ قَلْبُهُ فِي الصَّلَاةِ ، وَتَسِّرَ لَهُ الْاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ ، فَيَجِدُ فِي أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ .

وَمَنْ عَجَزَ عَنْ ذَلِكَ . فلا يزالُ فِي غَفْلَةٍ دَائِمَةٍ ، وَفَتُورٌ مُسْتَمِرٌ ، وَتَسْوِيفٌ مُتَابِعٌ إِلَيْهِ أَنْ يَدْرِكَهُ الْمَوْتُ ، وَتَهْلِكَهُ حَسْرَةُ الْفَوْتِ .

وَأَنَا مُقْتَرٌ عَلَيْهِ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَنِي هَذِهِ الرَّتْبَةَ ، فَإِنِّي طَالِبٌ لَهَا ، قَاصِرٌ عَنْهَا .

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٤٤٢٤) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

وأوصيه ألا يرضى من نفسه إلا بها ، وأن يحذر موضع الغرور ، قال تعالى : ﴿فَلَا تَغْرِبُنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرِبُنَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ﴾ .



تُوفِّي رضي الله عنه في يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة ، سنة خمس وخمسين مئة (٥٥٠ هـ)^(١) ، ودفن بظاهر قصبة طبران .

وَاللَّهُ تَعَالَى يُخَصُّ بِأَنْوَاعِ الْكَرَامَةِ فِي آخِرَتِهِ
كَمَا خَصَّ بِجَاهَهُ وَتَعَالَى يُفْنِنُونَ لِعِلْمِ فِي دُنْيَا هُمْ بِهِ

(١) وبال التاريخ الميلادي يوافق عام (١١١١ م) ، فيكون تاريخ طباعة هذا الكتاب المبارك عام (٢٠١١ م) موافقاً لم رور (٩٠٠) سنة ميلادية على وفاة الإمام الغزالى رحمه الله تعالى .